# طفل الروضة ... على خشبة

**عبد التواب يوسف**
خبير طفولة - مصر

## هل يعتلي طفل الروضة خشبة المسرح؟

لقد استكثر عليه البعض مشاهدة المسرح ، ورأوا أن ذلك يفوق قدراته وإمكاناته ، فما بالنا نريد له أن «يشخص» و«يمثل» ويؤدي دوراً من فوق خشبة المسرح؟

الأمور تتغير وتتطور ، وليس أدل على ذلك من أننا شاهدنا فيلماً سينمائياً طويلاً ، يقوم على بطولته «رضيع» .. من كان يتصور أن ذلك ممكنا؟

نحن - بالتأكيد - ضد استغلال الطفولة تجارياً في الإذاعة والتليفزيون ، وفي السينما والمسرح ، كما أننا نرفض رفضاً باتاً استخدامهم في الإعلانات ، من أجل ترويج السلع ، ونراه أمراً غير مشروع وغير قانوني ودساتير الأطفال تحرم ، بل وتجرم ، فهو لون من ألوان «عمالة الأطفال» ، وكثيراً ما أودى بهم ودمر مستقبلهم ، ولا يغيب عن ذهني ذلك الطفل الذي شارك بالتمثيل في برامج الأطفال الإذاعية مع بابا شارور ، وما أن بلغ سن السابعة عشرة حتى تقمص في الحياة دور «أمير عربي» ، وراح يعيش في فنادق خمس نجوم ، وينفق في سفه ، ثم يهرب ، إلى أن تم القبض عليه ، وألقي به وراء القضبان في بداية شبابه، مما يقع بأن الأطفال «النجوم» يمكن أن ينحرف بهم الطريق ، فهم لا يطيقون أن يفقدوا نجوميتهم عندما يكبرون ، لكن ما الحل إذا لم تكن لديهم الموهبة ، أو إذا لم يواصلوها؟!

نحن قد نسمح لطفل أن يؤدي مع زملائه دوراً في مسرحية «مدرسية» ، لكي يتعرف على المسرح وعلى فنونه ، لكن أن «يحترف» ، ويعتلي خشبات مسارح الكبار أو الصغار فذلك ما نرفضه رفضاً باتاً .. وقد أصدرت عدة دول أوروبية قوانين خاصة في هذا ، ومنعت مشاركة الأطفال في التمثيل المسرحي والسينمائي .. وكانت ألمانيا من بين هذه الدول .. ولكنني شاهدت حفلاً مسرحياً شاركت فيه طفلة صغيرة لها ضفيرتان ، وتتقافز على المسرح بمرح وشقاوة ، وعندما أبديت دهشتي لمخالفة القانون ، أتوا لي بهذه «الطفلة» وإذا بها امرأة ضئيلة الحجم ، تجاوز سنها الأربعين ، وتمكن الماكياج من تحويلها إلى طفلة تبدو في السابعة من عمرها على أكثر تقدير .. كانت سيدة موهوبة ، ولها قدره عالية على أداء دور طفلة! .

## لماذا نتقبله هواية ونرفضه احترافاً ؟

الطفل الذي يصعد إلى خشبة المسرح ، ويواجه الجماهير يمتلك شجاعة كبيرة ، ولا يزعجه الناس بتطلعهم إليه ، ولا يجري ولا يهرب ، وإنما يقف في ثبات تحسده عليه - أو يغبطه - الكبار ، ممن لا يستطيعون ذلك .. وهو قد يؤدي دوراً صغيراً ، ربما بدون كلمات ومن غير أن ينطق ، وإن تكلم فإنها جملة أو جملتان قصيرتان ، لكن لهما مفعول السحر .. ويكسبه ذلك الثقة في نفسه .. وعلينا أن ننتبه إلى ألا نجعله «مدمنا» لحب الظهور والاستعراض .. ويعاني من مشكلة ، نعانيها معه ، وقد لا يبرأ منها على مدى العمر، عندما تتحول إلى «مرض».

إنها هواية لطيفة أن يؤدي الصغير دور «الممثل» خاصة إذا أداه بشكل طبيعي ، وبدون مبالغة ، ومن غير تأتأة أو تهتهة ، بل في وضوح وبساطة .. والسؤال :

## الكتكوت السهران

### مسرحية لسن ما قبل المدرسة

**المنظر :**

سريران صغيران في حظيرة الدواجن ..

تدخل الدجاجة الأم لتجد كريم الصغير يتقافز فوق السرير

**الفصل الأول**

الدجاجة الأم - كف يا كريم ..

كريم ظ أني أتدرب لكي أقفز فوق السطوح

الدجاجة الأم - اغسل منقارك ومشط ريشك، ونمْ

- أريد أن أسهر لأشاهد التليفزيون
- ليس هناك برامج للصغار مثلك ، بالليل
- سأركب حصاني الخشبي قليلاً
- لا .. هو يريد أن يستريح وينام
- لا أجد المشط ..
- هو هناك عند المرآة
- اسمحي لي أن أعزف عليه قطعة موسيقية
- اعزف عليه موسيقى الصباح
- أريد اللعب بطائرتي الورقية
- لا ينفع اللعب بها في غرفة النوم .. أنا سأنام

# المســرح



## هل تنمي لديه هذه الموهبة ، إذا نجح ؟

والجواب : لِمَ لا ؟! .. خاصة إذا ما وجدناها تنمو بصفة طبيعية ، وإن كان الملاحظ أن أغلبهم لا يستمرون ، وربما كان ميكي روني في أمريكا ، وفيروز الصغيرة التي اكتشفها أنور وجدي لم يوفقا بعد سن الطفولة في التمثيل .

ونعرف أن المسرح ليس تمثيلاً وأداءً فحسب ، بل هو خبرة بكثير من التفاصيل ، ومعرفة يكتسبها الصغير ، لأنه يعيش «بيئة» مؤثرة ، فقد يلتفت إلى أعمال أخرى تجري يعطيها اهتمامه ، إذ قد يشده «الماكياج» مثلاً ، ويجد فيه شيئاً مثيراً وممتعاً ، وفناً يمكنه ممارسته ، ذلك أنه قادر على تحويل شاب إلى رجل عجوز، أو امرأة كبيرة إلى طفلة صغيرة - كما حدث مع السيدة الألمانية - إنه عمل يحتاج إلى مهارة خاصة ، لو أعطاها اهتمامه ربما برع فيها مستقبلاً .. والأمر كذلك مع الديكور .. أو الإضاءة .. وقد يمتعه أن يتدرب علي تحريك المجموعات التي تؤدي الحركات الإيقاعية ، أو الرقص ، ويمضي إلى هذا الاتجاه .. العمل في المسرح يحتاج إلى عشرات من أصحاب المواهب غير التمثيلية ، ويمكن أن يتقنها ، ويتجه إلى دراستها في معاهد الفنون المسرحية، كي ينجح فيها ، وهي مهن مهمة ، ومحترمة ، ويجدر بنا ألا ننظر إليها باستهانة أو استهجان .



الأم تدخل سريرها وتتغطى .. كريم ينادي من فراشه

- ماما .. أريد أن أشرب

- ألا يحلو لك الشرب إلا الآن

تقوم وتأتي له بكوب ماء يشرب .. نعود لفراشها..

- ماما .. كم الساعة ؟

- ما حاجتك إليها الآن ؟ .. الساعة السابعة

- ماما .. أريد حكاية قبل النوم

- حكيت لك حكاية قبل أن تبدأ القفز في السرير

- حكاية أخرى ، واحدة .. من فضلك ..

تذهب الأم إلى فراش كريم .. ويضع رأسه على الوسادة

- كان ياما كان .. كان هناك كتكوت صغير.. لطيف خريف أليف خفيف الظل .. ناعم الريش يمشطه جيدا ، لكي يبدو أنيقاً .. بألوانه البديعة الساحرة ، وقبل أن تسألني عن اسمه أقول لك: ربما يكون اسمه «كريم» أو «كمال» وهو يحب اللعب - مثلك ، يحبه جداً ، وكانت عنده عادة جميلة جداً .. تعود عليها من صغره.. هل تعرفها؟

- نعم ، كان يحب النوم مبكراً ..

الأم تضحك كثيراً .

**الفصل الثالث**

كريم يشارك أمه الضحك .. ويقول ..

- اكملي ..

- انت ولد ذكي .. اعرف هذا .. انت ابني : عجناك .. وخبزاك .. هل تعرف لماذا كان ينام مبكراً ..

- لا .. هل هناك كتكوت بهذا الشكل ؟ لماذا؟!

- لأنه يعرف جيداً أنه سوف يكبر .. ليصبح «ديكا» محترماً ، ينام عندما تنام الشمس ، ويصحو قبلها ليقفز فوق السطوح ويؤذن للفجر ، ليصلي الناس .. إنها مهمة جليلة يؤديها ، لكي يوقظهم لليوم الجديد الجميل ، ليذهبوا إلى أعمالهم .. ألا تريد أن تقوم بهذا ، كما كان أبوك يقوم به ؟ لتعتز بنفسك وتفخر ؟ وصوتك يجلجل في كل الدنيا ؟! هل تسمعني ؟ .. تصبح على خير.

يصدر شخيراً ، ليؤكد أنه لم يسمعها

(ستار)

صعود الصغير إلى المسرح ليس فقط من أجل التمثيل ولكنه بمثابة الدخول إلى مدرسة وإلى عالم فني متعدد الألوان والسمات ، ومن المهم أن نحاول من جانبنا أن نلفت أنظار الصغار إليها .. وقد رأيت طلاباً في مرحلة الدراسة الثانوية في مدارس فنية في دولة قطر يقومون بتنفيذ ديكورات المسرح المدرسي ، تدريباً لهم على عمل فني متميز .

## حديقة الروضة والفناء: مسرح أطفال رائع

نستطيع مراقبة أطفال الروضة ، وهم في حديقتها أو في فنائها ، ولسوف نشهد مسرحيات بالغة الروعة ، يقوم بها هؤلاء الصغار ، بدون نص مكتوب أو مخرج أو ديكور أو ملابس أو ... هم «قرود» صغيرة تقلد «المشرفة» أو «المديرة» أو .. أو .. وهم يؤدون حركات ، ويتقافزون ، ويجرون ، وأحياناً يتجنبون الزحام ويلجأون إلى ركن بعيد ، يريدون فيه أن يكونوا وحدهم» وهم يتصارعون، ويضحكون ، ويبكون ، ويرضون ، ويغضبون ، وتبدو عليهم الانفعالات الحياتية ، ومراقبتهم - كأنهم ممثلون - متعة ما بعدها متعة .. وقد يلجأ مكتشفو المواهب إلى الاختفاء وراء زجاج ، لا يراهم الأطفال من ورائه ، بينما يرون الأطفال ، وذلك كي لا يحسوا أنهم «مراقبون» ، ودراسة سلوكهم وتصرفاتهم أثناء اللعب يمكن من خلالها معرفة ميولهم ورغباتهم وهواياتهم .. وسوف يجدون بينهم الزعيم والقائد .. ويرون من ينقادون .. ويرون .. ويرون.. فإن التصرف التلقائي الحر خير ما يكشف لنا عن عناصر مهمة في تصرفاتهم وسلوكهم إذا ما تابعناهم في دأب وصبر .

نحن أمام مسرح كبير وممثلين صغار ، ومهمة مشرفة الروضة ، الذكية ، أن تنقل هذه المشاهد من حديقة الروضة ، وتصنعها من فوق خشبة المسرح .. ليستمتع بها الجميع ، مشاهدة ورؤية ، شريطة التقاط ما هو طريف ، وممتع ، ومؤثر ، ومُعلّم .. أليس ذلك ما يفعله «المسرحي» مؤلفاً ومخرجاً و ..؟

وعندما نتحدث عن خشبة المسرح هنا لا نعني بها خشبة مسرح وستارة و.. و.. لكن نعني بها المساحة الصغيرة التي يقف عليها



من يؤدون الأدوار ، وهي قد لا تزيد على أن تكون مساحة دائرية صغيرة ، يلتف المشاهدون من حولها .. وإشارتنا السابقة إلى المسرح وأدواته كانت بقصد أنه في حالة «استخدام» مسرح حقيقي يؤدي عليه الموهوبون أعمالاً صغيرة ، تماثل ما يستعمله الكبار في مسرحهم ، وتلجأ الروضات الكبيرة إلى «استئجار» مسرح يقدم فيها أطفالها أعمالهم الفنية أمام زملائهم وذويهم .. بديلاً عن تلك الدائرة الصغيرة التي يشاهد فيها الأطفال أعمالاً صغيرة بسيطة وهم واقفون أو على مقاعد صغيرة في الحديقة أو الفناء .. ومن المهم أن تكون هذه الأعمال متضمنة الموسيقي والغناء والحركات الإيقاعية والملابس التي تختلف عن الرداء الرسمي للروضة إن وجد .. ولن أنسى تجلي «هشام» وهو يضع من فوق رأسه قناع أرنب ، له أذنان طويلتان ، كما كان له ذيل قصير ، وسار يتقافز على الأرض مؤديا دوره رافعاً صوته بكلمات دوره القصيرة .. وعندما انتهى العرض اقترب مني ، وهمس :

– عادة لا يعلو صوتي ، لكنني رفعته لتسمعني .. ويحلو لي أن أقارن بين هذه الصورة ، وبين صورته عندما يظهر على الشاشة ليدلي بتصريحات سياسية ، وابتسم ، لأنه يؤديها في تؤدة ورصانة .. ترى هل تأثر بتلك التجارب في الروضة؟! هل اكتسب الثقة بالنفس مبكراً ؟ هل تدرب خلال تجاربه الأولى على الإمساك بزمام نفسه ، واختيار كلماته ؟ الصورتان تمتزجان أمام بصري ، دون أن أغفل عن كلماته التي ينطقها سليمة ومن غير أن يأكل حروفها .

دعوا أطفالكم يدخلون «دائرة» المسرح ، أو يصعدون إلي خشبته منذ أعمارهم الصغيرة، وأنني لأذكر "هشام» بعد أن شاهد مسرحية «العم نعناع» ، همس :

– هذا الرجل بائع الكتب يؤدي دوره بنجاح إلي حد أنني كدت أقوم إليه لكي أشتري منه كتاباً ..

منذ الروضة عرف المسرح ، لذلك في كل مرة يذهب للأمم المتحدة لايفوته أن يعرج على مسرح في برودواي في نيويورك ، ليشهد مسرحية .. مغايرة بالطبع لتلك التي يراها على مسرح مجلس الأمن ..

الحياة مسرح كبير حقاً .